العامل النحوي نشأته وعلاقته بالعلة النحوية

م.م نورة نعمان جابر/ وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الثانية

الإيميل noranoranooranora@gmail.com

الملخص :

تناول هذا البحث العامل ونشأته ومفهومه عند القدماء وكيف تعاملوا مع هذا الأصل وأنواع العامل من حيث كونها عوامل لفظية وعوامل معنوية وتأثير هذه العوامل في الإعراب والربط بيان العلاقة بين العوامل وتأثيرها في العلة النحوية، ومنهج المذهبين البصري والكوفي في استعمال هذا الأصل.

الكلمات المفتاحية (العامل، العلة، اللفظية، المعنوية)

The grammatical factor, its origin and its relationship to the grammatical vowel

Abstract:

This research dealt with the factor, its origin, and its concept among the ancients, and how they dealt with this origin and the types of the factor in terms of being verbal factors and moral factors, and the effect of these factors on syntax and linkage. The statement of the relationship between factors and their impact on the grammatical reason, and the approaches of the Basri and Kufic schools in the use of this principle.

Keywords (factor, vowel, verbal, intangible)

المقدمة

من الأصول المهمة التي قامت عليها الدراسة النحوية وشغلت جزءا كبيرا من تفكير النحاة "العوامل النحوية"، فقد اعتمد عليها النحاة في وضع القواعد وأحكامها، وتوضيح العلاقة بين أجزاء الجملة العربية.

وحينما لاحظ النحويون ما يطرأ على الكلمة من تغيير في أواخرها عند التوليف الكلامي، سألوا أنفسهم عن سر هذا التغير واستعانوا بملاحظاتهم أساليب الكلام وكيف يرد هذا التغير ومتي؟، ولابد أنهم نظروا فيما كان عند المتكلمين والفقهاء من حوار وجدل ونظر فيما يتعلق بالفاعلية سواء ما كان منها يتعلق بفعل الخالق سبحانه أو بفعل المخلوق، وما كان دائرا من الحديث عن الجبر والاختيار وما إلى ذلك.

ولابد أنهم فكروا في علة هذا التغير الذي أطلقوا عليه مصطلح "الإعراب" وعلته لابد أن تكون فاعليته وأنه لابد لهذه الفاعلية من فاعل أو عامل، فكانت نظرية العامل الموجب للعمل أي "الإعراب"[(١)].

ويتجلى أثر العامل في أواخر الأسماء، فالإعراب عند النحويين: "العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديراً"[(٢)].

ويقول الفارسي: "واعتقاب هذه الحركات المختلفة على الأخر، إنما هو لاختلاف العوامل الداخلة عليه"[(٣)].

(١) تقويم الفكر النحوي عند العرب ص ٢٢٩، ٢٣٠، د./ عبد الله الجبوري.

(٢) شرح الجمل لابن عصفور، ٣١/١، وينظر: المقرب ٤٧/١

(٣) الكافي في الإفصاح، ص ١٢٤، والمقتصد ٩٧/١

حتى في تلك الكلمات التي لا تتغير أواخرها لسبب ما، فإن الأثر يكون مقدراً، ويبحث النحويون عن علة عدم ظهوره، فيرجعون العلة حينا إلى التعذر، وحينا إلى الثقل، وحينا إلى انشغال المحل بحركة المناسبة، هذا إذا كانت الكلمة معربة، فإن كانت مبنية فإن أثر العامل أيضا في الحسبان، فالكلمة مبنية حقا، لكن محلها رفع أو نصب أو جر أو جزم.

المبحث الأول: مفهوم العامل ونشأته:

معنى العامل:

العامل في اللغة: المؤثر في الشيء، وقيل: هو الفاعل[١].

وحدده صاحب المقدمة المحسبة بقوله: "العامل هو ما عمل في غيره شيئا من رفع، أو نصب أو جر، أو جزم، وعلى حسب اختلاف العوامل، وإنما كان كذلك لأن العامل لما وجد مؤثرا في المعمول عملا سمي كاملا. كما أن الفاعل لما وجد مؤثرا في المفعول أثرا سمي فاعلا. ألا تري أنك إذا قلت: "قام زيد" كان "قام" هو الرافع العامل للرفع، وإذا قلت" "رأيت زيدا"، كان "رأيت" هو الناصب العامل للنصب، وإذا قلت "مررت بزيد"، كانت الباء هي الجارة العاملة للجر، إذا قلت: "لم يضرب"، كانت "لم" هي الجازمة العاملة للجزم. فلذلك سميت العوامل عوامل، فلا تجد مرفوعا إلا برافع، ولا منصوبا إلا بناصب، ولا مجرور إلا بجار، ولا مجزوما إلا بجازم، كما لا يكون محدث إلا بمحدث، ولا مؤثر إلا بمؤثر"[٢].

(١) الفروق لأبي هلال العسكري، ١٢٦ – ١٢٧

(٢) شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ ٣٤٤/٢، تحقيق د./ خالد عبد الكريم. ط أولي ١٩٩٧م.

وعرفة ابن الحاجب بقوله: "والعامل ما به يتقوم المعني المقتضي"[١]. والعامل: لفظيا كان أو معنويا، ما به يتقوم أي: يحصل، المعني المقتضي أي: معني من المعاني المعتورة على المعرب المقتضية للإعراب، ففي: (جاءني زيدُ)، جاء: عامل إذ به حصل معني الفاعلية في (زيد)، فجعل الرفع علامة لها، وفي (رأيت زيداً)، رأيت: عامل إذ به حصل معني المفعولية في (زيد) فجعل النصب علامة لها، وفي (مررت بزيد)، الباء: عامل إذ به حصل معني الإضافة في (زيد)، فجعل الجر علامة لها[٢].

كما عرفه صاحب الأسرار بقوله: "هو ما أوجب بواسطة كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب"[٣].

ومن أحسن ما قيل في العامل ما عرفه به الدماميني بقوله: "ما أثر في آخر الكلمة أثرا له تعلق بالمعني التركيبي، فخرج مثل التقاء السكاكين المؤثر للحركة مثلا نحو: "مِنِ ابنك، ومِنَ الرجل، فإنه وإن كان شيئا أثر في آخر الكلمة التي هي كسرة في الأول وفتحه في الثاني، لكن هذا الأثر لا تعلق له بالمعني الحاصل من تركيب الحرف مع مجروره، وإنما هو أمر يرجع لمجرد اللفظ، ودخل من العوامل ما كان زائدا وما كان غير زائد"[٤].

نشأتــه:

يرجع القول بالعامل على نحو ما إلى بدايات النظر النحوي.

---

(١) شرح الكافية للرضي ٧٢/١

(٢) الفوائد الضيائية ١٩٧/١

(٣) إظهار الأسرار في النحو للبركي، ص ٤٨، تحقيق د./ عبد العظيم حامد محمد هلال، ط أولي ١٠٤٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) تعليق الفرائد ١٣٢/١، ١٣٣

ولما كانت ظاهرة الإعراب بمعناها الاصطلاحي من أظهر مظاهر اللغة العربية وأوضحها بين اللغات الأخرى، بحث العلماء العرب في هذا الميدان بحثا مستفيضا منذ نشأة النحو وصنعوا نظرياته بالملاحظة الدقيقة، والتحليل العميق فهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه عرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه لما ميز فاعل من مفعول(١).

ثم نضجت فكرة العامل واكتسبت سمة النظرية المحددة، بعد أن كانت تعتمد على قرائن لفظية وظواهر تركيبية، فأصبحت في كتاب سيبويه نظرية متكاملة مدعمة بالأحكام والتفريعات فقد دخلت نظرية العامل في كل أبواب الكتاب وفصوله النحوية، بل لا نغلو إذا قلنا إنها دائما الأساس الذي بني عليه حديثه في مباحث النحو(٢).

وهي تلقانا منذ السطور الأولي في الكتاب، فقد عقب حديثه عن مجاري أواخر الكلم الثمانية، أو بعبارة أخري، عن أنواع الإعراب والبناء للكلمات بقوله: "وإنما ذكرت لك ثمانية مجار؛ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب".(٣)

(١) ينظر: المزهر ٣٢١/١، وتقويم الفكر النحوي عند العرب ص ٢٤٢

(٢) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي، ص ١٠٠،١٠١

(٣) الكتاب ١٣/١، والمدارس النحوية ص ٦٤

ومما يدل على فكرة نضج العامل عند سيبويه ما يتردد في الكتاب كثيرا من التعبير بالعامل القوي، والعامل الضعيف، والعامل الأصل، والعامل الفرع[١]، والعامل المختص[٢]، والتعليق والإلغاء[٣]، والعامل المحذوف[٤].

وقد قوي أثر العامل وزادت قوته وسيطرته في الدراسات النحوية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، حيث دخلت في نسيج أبواب النحو جميعا، وصارت مثار خلاف وجدل نظري طويل بين النحويين بعد بهم أحيانا عن روح اللغة ووظيفتها، حيث توسع النحاة في نظرية العمل وفلسفوها، وجعلوا المنطق سبيلا إليها فتفقدت وأصبحت إحدى المشكلات[٥]، ومن ثم يجب تنقية النحو مما علق به وعرضه عرضا جديدا يقوم على تيسيره للمتعلمين[٦].

وضع النحاة الكثير من المؤلفات والشروح في العامل، فكان من أشهرها على سبيل المثال: العوامل المئة للجرجاني، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر للبعلي، وشرح عوامل الجرجاني للأزهري، وتنقيح الألباب في شرح عوامل الإعراب للشنتريني. وهكذا استمر التأليف في العامل والانشغال به ما بين مؤيد ومعارض.

---

(١) السابق ١٣٠/٢

(٢) نفسه ١١٦/٣

(٣) نفسه ١٤٧/٣، ١٤٨

(٤) السابق ١٩٥/١، ٣٨٠/٢

(٥) مناهج البحث في اللغة ص ١٤ – ١٦، د./ تمام حسان . الدار البيضاء. دار الثقافة، ط ثانية (١٩٧٤م)

(٦) خطوات البحث النحوي ص٢٥٠

أنـــــواع العــوامل

قسم النحاة العوامل قسمين:

١- العوامل اللفظية، وهو ما يكون للسان فيه حظ[١]، وهي ثلاثة:

أولا: **الأفعال:** وهي أقوي العوامل؛ لأنه لابد أن يعمل، ومحل عمله الاسم، إذ ليس في اللغة فعل إلا وله معمول وهو الفاعل، ولأنه يعمل في الاسم متأخرا عنه (إلا أن الفاعل المتقدم عند الكوفيين)، فيعمل في مجموعة المفاعيل وفي الحال والتمييز إذا قدم أي منها عليه، ولقوة الفعل في العمل حمل عليه الاسم الذي يتضمن معناه كالمصدر واسم الفاعل، واسم المفعول ...واسم التفضيل، والصفة المشبهة، وأسماء الأفعال، وكذلك حمل عليه في العمل لقوته ما يماثله من الحروف (إن وأخواتها) التي شبهت به، حيث ماثلت الفعل وتضمنت معناه[٢]. ويعمل الفعل إن كان لازما في فاعله، أما إن كان متعديا فعلى ثلاثة أوجه:

الأول: ما ينصب واحدا: نصرت زيدا.

الثاني: ماينصب مفعولين ثانيهما غير الأول، أي إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ أو الخبر أعطي وكسا، ومنع، وألبس وسأل، مثل أعطيت زيدا درهما.

الثالث: ماينصب مفعولين الأول عين الثاني، أي أن أصليهما المبتدأ والخبر، (ظن) وأخواتها، مثل حسبت زيدا عالما.

الرابع: إلى ثلاثة مفاعيل مثل: أعلمت زيدا عمرا فاضلا[٣].

---

(١) إظهار الأسرار ص ٥١

(٢) الإنصاف ١٧٨/١

(٣) كتاب الجمل للجرجاني ص ٦٧، والفاخر في شرح جمل عبد القاهر ص ٣٢٠، وما بعدها.

ثانيا: **الأسماء:** وهي أضعف من الأفعال؛ لأنها تعمل في مواقع ولا تعمل في مواقع أخري، وهي: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم الفعل.

ومن الأسماء التي تعمل في الأفعال بعدها: أسماء الشرط، فتترك أثرا على فعلها

وهي جوابها إن كان ماضيا. ولم يعمل الجزم.

ثالثا: **الأدوات:** وهي أضعف من الأفعال؛ لأنها تعمل أحيانا وأحيانا تهمل، فلا تعمل شيئا. وهذه الحروف تنقسم إلي:

١- أدوات مختصة بالدخول على الأسماء، وهي أدوات الجر أصلية أو زائدة.

٢- وأدوات مختصة بالدخول على الأفعال، وهي أدوات النصب (إن) وأخواتها، وأدوات تدخل على الفعل المضارع فتنصبه بنفسها أو بحرف مضمر بعدها[١]. وأدوات تعمل الجزم، منها ما يعمل في فعل واحد، ومنها ما يعمل في فعلين.

٣- أدوات غير مختصة فتدخل على الأسماء تارة وعلى الأفعال تارة أخري، كـ (ما) التي تعمل عمل (ليس) فتارة على الاسم فتنصبه وترفع الخبر، وتارة تدخل على الفعل فلا تعمل فيه.

العوامل المعنوية:

" والعامل المعنوي: مالا يكون للسان فيه حظاً " وإنما هو معني يعرف بالقلب[٢]، وهو اثنان.[١]

(١) الإنصاف : مسألة ٣٠، التصريح ٢/٢٣٠، الأشموني ٣/٢٨٢

(٢) إظهار الأسرار ص ١٣٤، والتعريفات للجرجاني ص ١٥٠

الأول: رافع المبتدأ والخبر، وهو التجرد[١] عن العوامل اللفظية لأجل الإسناد نحو: زيد قائم. وقيل الخبر مرفوع بالابتداء، المبتدأ، وذهب يعض الكوفيين إلى أنهما ترافعا[٢]

والثاني: رافع الفعل المضارع، وهو وقوعه بنفسه موقع الاسم نحو زيد يضرب، فيضرب واقع موقع ضارب، وذلك الوقوع إنما يكون إذا تجرد[٣] عن النواصب والجوازم".[٤]

وهناك عامل ثالث قال به الكوفيون نقلا عن سيبويه حين تكلم عن العامل في الخبر ظرفا نحو (محمد خلفك) وهو النصب على الخلاف، وهو نصب الظرف الواقع موقع الخبر[٥]. وهناك عوامل أخري منها: الصرف: وهو عامل معنوي يعمل النصب في الاسم المنصوب بعد واو المعية، مثل: استوي الماء والخشبة، فالخشبة منصوبة بعامل معنوي هو الصرف إذ إنه صرف عن المعني الذي كان له أصلاً بحركة الدفع.[٦]

والصرف – أيضا – عامل معنوي يعمل النصب في الفعل المضارع بعد الواو أو الفاء أو بعد الحرف (أو) إذا كانت هذه الحروف مسبوقة بنفي أو طلب، كما في: لا

(١)وهو رأي البصريين، الكتاب ٢٧٨/١ (بولاق) والإنصاف مسألة (٥) وشرح المفصل ٦٦/١
(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/٢، والمقتصد في شرح الإيضاح ٢١٤/١، والإنصاف ٤٨/١
(٣) وهو رأي البصريين ماعدا الأخفش، وذهب أكثر الكوفيين ومعهم الأخفش إلى أنه مرفوع بتجرده من الناصب والجازم، واختاره الرضي، وابن مالك، وأبو حيان، وابن هشام وغيرهم، وقبل رافعه حروف المضارعة. ينظر: الكتاب ٩/٣، والمسائل المنثورة ص١٣٧، والمقتضب ٥/٢، والإيضاح ١٢/٢، وأسرار العربية ٢٨، ومعاني القرآن للفراء ١٦٠/١، الإنصاف ٥٥٢/٢، والتسهيل ص ٢٢٨
(٤) إظهار الأسرار ص١٣٥
(٥) ينظر الإنصاف ٢٤٥/١
(٦) ينظر: معاني القرآن ١٣٤/١، والإنصاف مسألة (٣٠)، وشرح الأشموني ١٣٥/٢

تأكل سمكاً وتشرب لبناً، ما تأتينا فتجدنا، لأستسهلنّ الصعب أو أدرك المني. ويري البصريون أن الفعل منصوب منصوب بـ(أن) مضمرة بعد هذه الحروف.

وهناك عامل معنوي: هو كونها صفة لمرفوع أو منصوب أو مجرور[١]، وعند سيبويه وجمهور البصريين العامل في الصفة هو العامل في الموصوف.

ومن العوامل المعنوية عند الكوفيين الإسناد أو الفاعلية، فقد علل الكسائي رفع الفاعل بعد الفعل لكونه داخلا في الوصف أو ملتسبا بالفعل.

وعلل هشام – وقيل خلف – رفع الفاعل بإسناد الفعل له، أو معني الفاعلية وليست الحركة على آخره بأثر من الفعل له، إنما العامل فيه معنوي، هو إسناد الفعل له، أو كونه متلبسا به، أو المعني المترتب على قيامه به، و هو الفاعلية[٢].

ويماثل هذا العامل قول خلف الأحمر في ناصب المفعول به، فهو عنده معنوي، هو معني المفعولية، أي وقوعه مفعولا به[٣]، ولا دور للفعل أو الفاعل في الحركة على آخر المفعول به بعد الفعل والفاعل[٤].

(١) المصباح في علم النحو للمطرزي ص١٢٤ تحقيق د/عبد الحميد طلب مكتبة الشباب – القاهرة.
(٢) الإنصاف مسألة (١١)، والأشموني ٤٣/٢، والأشباه والنظائر ٢٣٩/١
(٣) المراجع السابقة
(٤) العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ص ٦٣

المبحث الثاني: علاقة العامل بالعلة النحوية

اختلفت وجهات نظر النحويين في العامل، وشخصيته، حيث كان لهم في هذا اتجاهات ثلاثة:

الأول: أن يكون العامل لفظاً في الجملة، أو معني نحوياً.

الثاني: العامل المتكلم.

الثالث: الله سبحانه وتعالي.

أولا: العامل اللفظي والمعنوي:

أرجع النحاة القدامى مواقع الكلمات في الجمل، والتراكيب إلى عوامل: لفظية، أو معنوية، تظهر آثارها على الكلمات بدليل تعريفهم للإعراب: "الإعراب ما جيء به لبيان مقتضي العامل في حركة، أو حرف، أو سكون، أو حذف[1]."، كقولهم: ضرب زيداُ عمراً، فالفعل (ضرب) وهو عامل لفظي (زيداً)، ونصب (عمراً)، وكقولهم: مررت بخالدٍ، فالباء حرف جر وهي عامل لفظي – و(خالد) مجرور بالباء.

وإذا كان العمل خالياً من وجود لفظ يتعلق به فالعامل معنوي، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، أو تجرده من الناصب والجازم، على اختلاف في ذلك.

يقول ابن جني في: "باب مقاييس العربية: وهي ضربان: أحدهما: معنوي، والآخر: لفظي .... وإنما قال النحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي؛ لِيُرُوكَ أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيدٍ، وليت عمراً قائماً، ويأتي بعضها

(١) شرح التسهيل ٣٣/١

عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول."[١]

ثانيا: العامل المتكلم:

أشار النحاة إلى أن مسألة العوامل اللفظية، والمعنوية ليست إلا حيلة لجأ إليها النحاة لتقريب المسائل النحوية.

وقد صرح ابن الأنباري بأن العوامل لا عمل لها، وإنما هي إمارات ودلائل، فقال: "إنما قلنا: إن العامل هو الابتداء، وإن كان الابتداء هو: التعري من العوامل اللفظية؛ لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسياً، كالإحراق للنار، والإغراق للماء، والقطع للسيف، وإنما هي إمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي إمارات، فالإمارة تكون بعدم شيء، كما تكون بوجود شيء".[٢]

كما صرح الإمام الرضي بذلك حيث قال: "أعلم أن مُحْدِث هذه المعاني في كل اسم هو المتكلم، وكذلك محدثو علاماتها، لكنه نسب إحداث هذه العلاقات إلى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني بالاسم، فسمي عاملاً، لكونه كالسبب للعلاقة، كما أنه كالسبب للمعني المعلم، فقيل: العامل في الفاعل هو الفعل؛ لأنه صار به أحد جزئي الكلام".[٣]

فالعامل ما هو إلا وسيلة نتبين بها الارتباط والعلاقة بين الأجزاء التي تتركب منها الجملة، وأما إطلاق النحاة على الكلمة الطالبة لغيرها عاملة فيها إذا صحب هذا

(١) الخصائص ١/١١٠،١٠٩

(٢) الإنصاف ١/٤٦

(٣) شرح الكافية ١/٦٣

الطلب تأثر، وإطلاقهم على المطلوبة المتأثرة معمولة فاصطلاح أو عرف لغوي دفع إليه وجود العمل مع وجودها، وزواله مع زوالها[١].

ثالثا: العامل هو الله سبحانه وتعالي:

وذهب فريق آخر إلى أن العامل هو الله سبحانه وتعالى الذي يملك الحرية، والاختيار فالإنسان من هذا الرأي مجبر على كل فعل يقوم به، فالعمل و التأثير ينسبان إلى الله وحده. فاللغة عند هؤلاء: توقيف وإلهام من الله تعالى[٢].

وصاحب هذا الرأي هو ابن مضاء الذي تأثر في موقفه من نظرية العامل بشكل خاص ومن أسس النحو بشكل عام بمذهبه الفقهي الظاهري الذي يقدس النص اللغوي، ويقف أمامه ويتمسك بحرفيته وعدم الخروج على معانيه الظاهرة[٣] مع رفض كل ما ينتج عن نظرية العامل في الدراسات النحوية من تأويل وزيادة في النص اللغوي الأصلي مما ليس فيه. ولذا هاجم ابن مضاء نظرية العامل ودعا إلى إلغائه. وسيأتي الحديث عن موقف ابن مضاء من العامل إن شاء الله.

العوامل النحوية بين البصريين والكوفيين

اتفق النحويون – جميعاً – بصريوهم وكوفيوهم على ضرورة العامل النحوي وذلك نتيجة واضحة للدراسات الفلسفية والمنطقية التي كان لها أكبر الأثر في توجيه العلوم في القرنين الثاني والثالث، غير أن نحاة البصرة أمعنوا في هذا الاتجاه.[٤]

(١) العوامل النحوية بين البصريين والكوفيين ١٦٨ د/ الحسيني محمد القهوجي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد الخامس عشر، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م

(٢) نظرات في اللغة عند ابن جزم ص٣٩، ٤٠ أ/ سعيد الأفغاني

(٣) ابن مضاء وجهوده النحوية ص١٠٢

(٤) الخلاف بين النحويين ص ١٨٠

فإذا كان العامل محور الدراسة النحوية عند الجميع إلا أن نحاة البصرة فلسفوه (حتى ارتفعوا به إلى منزلة العلة الفلسفية، ومنحوه خصائصها فكما لا يعقل اجتماع علتين على معلول واحد في وقت واحد، كذلك عندهم لا يجوز أن يجتمع عاملان على معمول واحد، وكما لا يعقل أن يكون المعلول علة لعلته كذلك لا يجوز أن يعمل المعمول في العامل أو يؤثر فيه).[١]

وأما الكوفيون فأخذوا بمبدأ العامل أخذاً رفيقاً، ولم تشغلهم فلسفته عن ملاحظة الظواهر اللغوية بل جمعوا بين الأمرين في إحكام (فلم يمنحوا العامل خصائص العلة ولم يفلسفوه، فقد كان العامل عندهم متصيداً من الطبيعة اللغوية، وفقه خصائصها، وقد توصلوا إليه من ملاحظة تأثير الحروف في الحروف، والكلمات في الكلمات حين تتآلف وتتمازج، ولذلك لم يبالوا باجتماع عاملين على معمول واحد، أو بإعمال العامل الواحد في معمولين من وجه واحد ولم يعيروا اهتماماً إنكار البصريين عليهم منهجهم، وحملاتهم على طريقتهم، واتهامهم بأنهم أفسدوا النحو).[٢]

إن معظم المسائل الخلافية كان أساسها هو الاختلاف في العوامل، وهذه بعض المسائل الخلافية التي وردت في كتاب "الإنصاف" يتبين من خلالها موقف المدرستين من هذا الأصل (العامل)، ومنها:

(١) مدرسة الكوفة ص ٣٩٣

(٢) السابق ص٣٩٤

المسألة الخامسة: في رافع المبتدأ والخبر

يري الكوفيون أنهما يترافعان، والبصريون يرون أن المبتدأ مرفوع بالابتداء، والخبر مرفوع بالابتداء وحده عند قوم منهم، وعند آخرين بالابتداء والمبتدأ وعند فريق ثالث منهم بالمبتدأ[١].

المسألة رقم (٦): الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه، ويمنع ذلك البصريون[٢].

المسألة رقم (١٠): (لولا) ترفع الاسم بعدها عند الكوفيين، وعند البصريين يرتفع بالابتداء[٣].

المسألة رقم (١١): يري الكوفيون أن الناصب للمفعول، الفعل والفاعل جميعاً، وبعضهم يقول: الفاعل، وبعضهم يقول: معني المفعولية، والبصريون يرون أنه الفعل[٤].

المسألة رقم (١٢): زيداً ضربته، منصوب عند الكوفيون بالفعل المتأخر، وعند البصريين بفعل محذوف[٥].

المسألة رقم (١٣): أكرمني وأكرمت زيداً. يري الكوفيون إعمال الأول أولي لسبقة والبصريون يرون الثاني أولي لقربه.[٦]

المسالة رقم (١٩): (ما) الحجازية لا تعمل في الخبر عند الكوفيين، وتعمل عند البصريين[١].

---

(١) أسرار العربية ص٦٧، ٦٩
(٢) التصريح ١٩٨/١
(٣) التصريح ٢١٢/١، ٣٣٠/٢
(٤) أسرار العربية ص١٨٣
(٥) شرح الرضي على الكافية ١٤٨/١، والتصريح ٣٥٠/١
(٦) الرضي ٧٠/١، التصريح ٣٨٦/١

المسألة رقم (٢٢): (إن) وأخواتها لا ترفع الخبر عند الكوفيين، وعند البصريين ترفع الخبر[٢].

المسألة رقم (٣٠): المفعول معه منصوب على الخلاف عند الكوفيين، وعند البصريين منصوب بالفعل قبله بتوسط الواو، وهناك آراء أخري[٣].

المسألة رقم (٣٤): العامل في المستثنى هو (إلا) عند الكوفيين، والفعل ومعناه عند البصريين يتوسط إلا، ومع الكوفيين المبرد والزجاج[٤].

المسألة رقم (٧٤): رافع الفعل المضارع: يري أكثر الكوفيين أنه يرتفع لتعرية من العوامل الناصبة والجازمة، وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزائد في أوله، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم[٥].

المسألة رقم (٨٤): جواب الشرط مجزوم على الجوار عند الكوفيين، وذهب أكثر البصريين إلى أن العامل فيهما حرف الشرط وآخرون يرون أن العامل فيه حرف الشرط وفعل الشرط .... وآراء آخري[٦].

من هذا يتبين اختلاف النحويين حول العامل وقوانينه اختلافا كبيرا، فقد قوي أثر العامل وسيطرته في النحو وتمكنه من الدراسات النحوية، حيث وقعت تحت تأثير الدراسات الفلسفية بحيث أصبح العامل في النحو كالعلة في الفلسفة.

---

(١) أسرار العربية ص ١٤٢، التصريح ٢٣٦/٢

(٢) التصريح ٢٥٣/١

(٣) التصريح ٤١٥/١، والرضي على الكافية ١٨٠/١

(٤) أسرار العربية ص٢٠١، ٢٠٢

(٥) التوضيح ٢٨٩/٢، والموفي في النحو وفيه (وعند ثعلب نفس المضارعة والتجرد عند الفراء ومن تبعه) ١١٤.

(٦) شرح الرضي ٢٣٦/٢

ولعل من أهم مظاهر المسائل الخلافية بين النحويين هو الخلاف في تعيين العامل في الكثير من الموضوعات النحوية سواء بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة أو بين نحاة البيئة الواحدة[١].

الخاتمة

وخلاصة القول أن من الأصول المهمة التي قامت عليها الدراسة النحوية وشغلت جزءا كبيرا من تفكير النحاة "العوامل النحوية"، فقد اعتمد عليها النحاة في وضع القواعد وأحكامها، وتوضيح العلاقة بين أجزاء الجملة العربية.

وحينما لاحظ النحويون ما يطرأ على الكلمة من تغيير في أواخرها عند التوليف الكلامي، سألوا أنفسهم عن سر هذا التغير واستعانوا بملاحظاتهم أساليب الكلام وكيف يرد هذا التغير ومتي؟، ولابد أنهم نظروا فيما كان عند المتكلمين والفقهاء من حوار وجدل ونظر فيما يتعلق بالفاعلية سواء ما كان منها يتعلق بفعل الخالق سبحانه أو بفعل المخلوق، وما كان دائرا من الحديث عن الجبر والاختيار وما إلى ذلك.

(١) تقويم الفكر النحوي ص ٢٤٧

المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح، رجب عثمان محمد، مراجعة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية (ت٧٦٧هـ)، تح، د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولي، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولي، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د ت).
- أسرار العربية، كمال الدين أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح، محمد حسين شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- إسفار الفصيح، محمد بن على بن محمد، أبو سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ)، تح، حمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ.

❖ الأشباه والنظائر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، الطبعة الثانية، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ.

❖ أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

❖ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، (د ت) .

❖ أصول النحو عند ابن مالك، د. خالد سعيد شعبان، مكتبة الآداب، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٩م.

❖ أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق النصوص، د. يوسف المرعشي، بيروت، لبنان، (د ت) .

❖ الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت ٩٤٣هـ)، حققه وعلق عليه، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).

❖ إظهار الأسرار في النحو، زين الدين محمد البركوي (ت٩٨١هـ)، دار المنهاج، عني به، أنور بن أبي بكر الداغستاني، جدة، السعودية، الطبعة الأولي، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

❖ الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة، (د ت).

❖ إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه، د. فائزة بنت عمر المؤيد، (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض)، الطبعة الأولي، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.

❖ إعراب القرآن للباقولي، على بن الحسين، أبو الحسن الأَصفهاني الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ودار الكتب اللبنانية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ .

❖ إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

❖ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفي درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

❖ الإغراب في جدل الإعراب، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، قدَّم له وحققه، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.

❖ الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبطه، عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، ٢٠٠٦م.

❖ الاقتصاد في الاعتقاد، محمد أبو حامد الغزالي، تح: د. نصاف رمضان، دار، قتيبة، دمشق، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

❖ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أدوارد كرنيليوس فانديك (ت١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه محمد على الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ،١٨٩٦م.

❖ الألغاز النحوية (الطراز في الألغاز)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث،١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٣م.

❖ ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، (ت ٦٧٢هـ)، دار التعاون، (د ت).

❖ أمإلى ابن الحاجب، جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، ودار الجيل، بيروت، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

❖ أمإلى ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن على بن حمزة، المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) تح: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م .

❖ الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تح: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولي، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م .

❖ الانتصار لسيبويه على المبرد، أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد التميمي النحوي (ت٣٣٢هـ)، تح: د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

❖ الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولي، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت).